(273) ضالاً في هذه الفترة من عمره، فهداه إلى أسباب السعادة وعرّفه وسائل الشقاء. والالتزام بالضلالة بهذا المعنى لازم القول بالتوحيد الاِفعالي، فإنّ كل ممكن كما لا يملك وجوده وحياته، لا يملك فعله ولا هدايته ولا رشده إلاّ عن طريق ربّه سبحانه، وإنّما يفاض عليه كل شيء منه قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ) (1)، فكما أنّ وجوده مفاض من الله سبحانه، فهكذا كل ما يوصف به من جمال وكمال فهو من فيوض رحمته الواسعة، والاعتقاد بالهداية الذاتية، وغناء الممكن بعد وجوده عن هدايته سبحانه يناقض التوحيد الاِفعالي الذي شرحناه في موسوعة مفاهيم القرآن.(2) وقد تضافرت الآيات على هذا الاَصل، وأنّ هداية كل ممكن مكتسبة من الله سبحانه من غير فرق بين الإنسان وغيره، وفي الاَوّل بين النبي وغيره، قال سبحانه: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَىءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (3)، وقال سبحانه: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى)(4)، وقال سبحانه: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ) (5) وقال سبحانه: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ)(6)، وقال تعالى: (إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)(7)لا ، وقال تبارك وتعالى: (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي)(8)، إلى غير ذلك من الآيات.

_____ 1

. فاطر: 15. 2 . لاحظ الجزء الاَوّل: 297 ـ 376. 3 . طه: 50. 4 . الاَعلى: 2 ـ 3. 5 . الاَعراف: 43. 6 . الشعراء: 78. 7 . الزخرف: 27. 8 . سبأ: 50.